مختصر في الإيمان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث بالسيف رحمة للعالمين الحمد لله الكريم الكبير المتعال والصلاة والسلام على الضحوك القتال ثم أما بعد

الإيمان عند أهل السنة والجماعة

بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وفي أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم بدأت تخرج في الإسلام أقوال واعتقادات وأفعال تخالف كتاب الله وهدي النبي فتصدى لها الصحابة رضي الله عنهم وبينوا فسادها فلما كثرت البدع وتنوعت الفرق تسمى أهل الحق والاتباع بأهل السنة والجماعة

وأهل السنة والجماعة هم الموحدون المتبعون لسنة النبي صلى الله عليه وسلم على فهم السلف الصالح وهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان المجانبون للبدع وأهلها الناصرون لدين الله.

وسموا بذلك لانتسابهم إلى سنة النبي واجتماعهم على الأخذ بها ظاهرا وباطنا في الاعتقاد والقول والعمل.

وهم الفرقة الناجية قال صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وإحدى وسبعون في النار والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث سبعين فرقة فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار، قيل يا رسول الله من هم ? قال هم الجماعة وفي رواية ما أنا عليه وأصحابي.

رواه ابن ماجه وابن ابي عاصم وهو حسن بشواهده.

الإيمان لغة: التصديق والإقرار

وشرعا: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان

قال الإمام الآجري رحمه الله: كان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، والعمل من الإيمان والإيمان من العمل فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق بعمله فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها

ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله كان في الآخرة من الخاسرين

[كتاب الإيمان ص٢٥٠]

أركان الإيمان ستة ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل الذي رواه البخاري ومسلم وهي:

١-الإيمان بالله

٢-وملائكته

٣-وكتبه

٤-ورسله

٥-واليوم الآخر

٦_والقدر خيره وشره.

والإيمان بالله هو التصديق الجازم والإقرار بوجود الله والإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته

من عقيدة أهل السنة والجماعة:

-الإيمان له ثلاثة أركان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

-الإيمان بأسماء الله وصفاته دون تعطيل او تمثيل أو تحريف أو تكييف.

-الإيمان بكل ماورد في القرآن وصحيح السنة والتسليم به

-تقديس النصوص الشرعية وتقديمها على آراء الرجال

-فهم نصوص الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- المسلم يجتمع فيه الإيمان والمعصية والإيمان والشرك الأصغر والكفر الاصغر ولا يجتمع فيه الإيمان والكفر الأكبر والشرك الأكبر.

-مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته يوالى بقدر ما عنده من إيمان ويعادى بقدر ما عنده من فسق وتبقى له الولاية الكبرى وهي ولاية الإسلام.

- الصحابة كلهم عدول رضي الله عنهم.

- محبة أهل البيت وتوليتهم.

- لا أحد معصوم بعد الأنبياء عليهم السلام

-لا نشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم ونرجو للمحسن ونخشى على المسيء.

-وجوب البيعة لخليفة المسلمين والسمع والطاعة له في المعروف ولا ننزع يدا من طاعته إلا ان نرى كفرا بواحا عندنا فيه من الله برهان.

-الجهاد ماض إلى قيام الساعة خلف الإمام المسلم برا كان أو فاجرا.

-تكفير الطواغيت الحاكمين بغير ما أنزل الله الموالين لأعداء الله ووجوب جهادهم

-وجوب فكاك أسر المسلمين المعتقلين في سجون الكفار والمرتدين

الإيمان لغة: هو التصديق

قال تعالى: ((وما أنت بمؤمن لنا))

أي بمصدق لنا

وقوله: ((وآمن له لوط))

أي صدق له لوط

ويقال في العربية أمنت بكذا أي صدقت به

اصطلاحا: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح

يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي

والإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان

ومن هذه الشعب ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة

ومنها لا يزول الإيمان بزوالها كإماطة الأذى عن الطريق

عندما يقال إن الإيمان قول وعمل إليك الشرح التالي:

١ القول قولان

٢ والعمل عملان

١. القول قولان:

أ. قــول القــلــب وهو تصديقه وإيقانه واعتقاده كالتصديق بما جاء به الرسول إجمالا

ب: قول اللسان: هو النطق بكلمة التوحيد والإقرار بلوازمهما وأيضا الذكر والدعاء وقراءة القرآن وغيره

٢. العــمــل عــمــلان:

أ: عمل القلب: هو نيته وإخلاصه وخشوعه وانقياده وتوكله ورجاءه وقبوله وتسليمه ورضاه لله تعالى

ب: عمل الجوارح: كالصلاة والجهاد والمشي في مرضاة الله تعالى وغيرها.

فيما قاله ابن القيم رحمه الله:

الإيمان حقيقة مركبة من قول وعمل

والقول قولان

قول القلب هو اعتقاده

وقول اللسان هو قول لا إله إلا الله

والعمل عملان

عمل القلب: نيته

وعمل الجوارح: صلاة. زكاة. حج. الخ..

قال الإمام الزهري رحمه الله: الإيمان قول وعمل قرينان لا ينفع أحدهما بالآخر

قال الحسن البصري رحمه الله: الإيمان قول وعمل ولا قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل إلا بنية ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بسنة

قال الأوزاعي رحمه الله: لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بعمل ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة

قال سفيان الثوري رحمه الله: الإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص

- الإمام الشافعي رحمه الله ينقل الإجماع بحرفه وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وممن أدركنا ان الإيمان قول وعمل ونية ولا يجزء واحد من ثلاث إلا بالأخر

ـ اسحق بن راهويه ينقل قوله وقول الإمام أحمد أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

ـ البخاري رحمه الله بوب أبوابا في كتبه أن الإيمان هو العمل ونقل كلام ألف رجل أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

ـ الآجري رحمه الله: بوب بابا اسمه باب الإيمان تصديق بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح

أيضا مالك والشافعي وأحمد ووكيع والفضيل وابن جريج

ـ الإمام وكيع قال: أهل السنة يقولون الإيمان قول وعمل

والمرجئة يقولون قول بلا عمل

والجهمية يقولون المعرفة

شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ " معلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار يتضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد"

وتلميذه ابن القيم رحمه الله:

الإيمان حقيقة مركبة من قول وعمل

والقول قولان

قول القلب هو اعتقاده
وقول اللسان هو قول لا إله إلا الله

والعمل عملان

عمل القلب: نيته
وعمل الجوارح: صلاة. زكاة. حج. الخ ...

مراتب الإيمان ثلاث:

١_ أصل الإيمان

٢_الإيمان الواجب

٣_الإيمان المستحب

المرتبة الأولى من مراتب الإيمان:

مطلق الإيمان أو أصل الإيمان:

وهو حد الإسلام وهو مالا يوجد الإيمان بدونه وبه النجاة من الكفر والدخول في الإيمان وهو مطلق [جزء] الإيمان ومن أتى بهذه المرتبة فهو داخل في المخاطبين بقوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا))

ويشتمل على شعب لا يصح إلا باكتمالها

وضابط ما يدخل في أصل الإيمان من الأعمال سواء كانت فعلا أو تركا وسواء

كانت اعتقادا أو قولا أو عملا:

أ- أن كل عمل يكفر تاركه ففعله من أصل الإيمان»
مثل؛ التصديق»
انقياد القلب» إقرار اللسان» والصلاة

ب- كل عمل يكفر فاعله فتركه من أصل الإيمان: مثل:
الاستهزاء بالدين
» الدعاء» الاستعانة والاستغاثه بغير الله» والقتال في
سبيل الطاغوت
أو جحد واجب أو استحلال محرم أو إنكار واجب ....
الخ.

وكل من لم يأت بأصل الإيمان " جملة " أو أخل به "جزء " فهو كافر مخلد
في نار جهنم.

وضابط الذنب المكفر هو مقام الدليل الشرعي على أنه كفر أكبر مخرج
من الملة.

ومن أتى بأصل الإيمان فقد نجا من الكفر ودخل الجنة برحمة الله

وباختصار شديد أصل الإيمان يجب أن يكون فيه:

عمل القلب: معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إجمالا والتصديق به مع الإتيان بأعمال القلوب التي لا يصح الإيمان إلا بها كالتسليم والرضى والانقياد

وعمل اللسان: الإقرار بالشهادتين

وعمل الجوارح الإتيان بالصلاة لأن من يتركها يكفر وكذلك سائر المباني التي يكفر تاركها

قال تعالى: ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله

وقال: لئن أشركت ليحبطن عملك

وأيضا في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال لي جبريل: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة.

٢.الإيمان الواجب وهو المرتبة الثانية من مراتب الإيمان

وهو مازاد عن أصل الإيمان من فعل الواجبات وترك المحرمات

وضابط ما يدخل في الإيمان الواجب من الأعمال

أن كل عمل ورد في فعله وعيد ولم يكفر فاعله فتركه من الإيمان الواجب كالزنى والربا والسرقة وشرب الخمر . . . الخ

وكل عمل ورد في تركه وعيد ولم يكفر تاركه ففعله من الإيمان الواجب

كأداء الأمانة وبر الوالدين والجهاد الواجب وصلة الرحم... الخ.

المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان:

الإيمان المستحب

هو ما زاد عن الإيمان الواجب من فعل المندوبات والمستحبات وترك المكروهات والمشتبهات فمن أتى بهذا مع أصل الإيمان والإيمان الواجب فهو من السابقين الذين يستحقون دخول الجنة ابتداء

بعد أن تكلمنا عن مراتب الإيمان وهي

أصل الإيمان والإيمان الواجب والإيمان المستحب

يجمع هذه المراتب قوله تعالى:

«ثُمَّ أَورَثنَا الكِتابَ الَّذينَ اصطَفَينا مِن عِبادِنا فَمِنهُم ظالِمٌ لِنَفسِهِ وَمِنهُم مُقتَصِدٌ

وَمِنهُم سابِقٌ بِالخَيراتِ بِإِذنِ اللَّهِ

ذَٰلِكَ هُوَ الفَضلُ الكَبيرُ».

[فاطر: ٣٢]

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية:

السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب

والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله

والظالم لنفسه وأهل الأعراف يدخلون بشفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

ويدخل في هذه أيضا أصحاب الصغائر بشرط عدم الإصرار عليها والله أعلم

طيب ما هو الإيمان الكامل؟

نقول هو جميع الأعمال بمراتبه الثلاثة ولا نقول بكمال الإيمان ونضيف الاستثناء بخلاف المرجئة

لماذا الاستثناء: حتى لا نزكي أنفسنا

قال تعالى:

{فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ}

الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية:

قال تعالى (فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)

قال تعالى (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم)

قال تعالى (ويزداد الذين آمنوا إيمانا)

قال تعالى (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن.

الاستثناء واجب في الإيمان

▪قال تعالى: لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين

وقال تعالى: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله

كان السلف يقولون نحن مؤمنون إن شاء الله ويعيبون على من لا يستثني

الاستثناء يكون في الأعمال

الاستثناء ليس من باب الشك ولكن

من باب عدم التزكية

قال تعالى: فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى

حكم مرتكب الكبيرة عند

أهل السنة والجماعة

المرجئة

الخوارج

المعتزلة

مرتكب الكبائر الفاسق الملي:

وسمي بملي نسبة إلى الملة لأنه لم يخرج منه.

اسم الفاسق عند أهل السنة: قال ابن تيمية (مؤمن ناقص الإيمان مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ولا يطلق عليه اسم الإيمان المطلق) الفتاوى ٧/٥٢٥.

وقال: (الفاسق الملّي يجوز أن يقال مؤمن باعتبار وليس بمؤمن باعتبار. فهو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ولا يطلقون عليه مؤمن بإطلاق دون تقييد ولا يثبتون له الإيمان الكامل وإن كان معه أصل الإيمان.

وحكمه: أنه تحت المشيئة إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له لكن لابد أن يوجد من الفساق من يلحقه الوعيد ويدخل النار لكن يخرج منها إذا دخلها.

(أهل الكبائر يخرجون من النار، ولا يحبط جميع الحسنات إلا الكفر) ١٠/٣٢١.

قال تعالى: إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ النساء: ٤٨.

من الأدلة التي نفت اسم الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

قوله: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن رواه البخاري. قال الإمام أحمد: (يخرج من الإيمان إلى الإسلام فالإيمان مقصور في الإسلام فإذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام) أخرجه الخلال في السنة.

وحديث ارتفاع الإيمان عن الزاني فوقه كالظلة معناه الإيمان الواجب وليس أصل الإيمان كما أنه مثل النائم الذي روحه معه وتخرج لكن قريبة منه.

وعند المرجئة: هو مؤمن كامل الإيمان لا ينتفي اسم الإيمان عنه ولا يسلب.

عند الخوارج: كافر ليس بمؤمن.

وعند المعتزلة هو في منزلة بين المنزلتين.

الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي

قول باللسان:

{قَالَتِ الأعراب ءَامَنَّاۖ قُل لم تؤمنواْ ولكن قولواْ أسلمنا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَـٰنُ فِي قلوبكم وَإِن تطيعواْ الله ورسوله لَا يَلِتۡكُم من أعملكم شَيۡـًٔاۚ إِنَّ الله غَفُورٌ رحيم}

اعتقاد بالقلب

{وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَـٰنُ فِى قلوبكم}

[سُورَةُ الحُجُرَاتِ: ١٤]

{ولكن الله حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قلوبكم وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ والفسوق وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَـٰٓٮِٕكَ هُمُ ٱلرَّٲشِدُونَ }

{يَـٰٓأَيُّهَا الرسول لَا يحزنك ٱلَّذِينَ يسرعون فِى ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قالواْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٲهِهِمۡ وَلَمۡ تؤمن قلوبهم وَمِنَ ٱلَّذِينَ هادوا سمعون للكذب سمعون لقوم ءَاخَرِينَ}

عمل بالجوارح:

{وَمَآ أمروٓاْ إِلَّا لعبدواْ الله مخلصين لَهُ ٱلدِّينَ حنفاء وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ويؤتواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٲلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ}

مسألة التلازم بين الظاهر والباطن

الظاهر هو قول اللسان وعمل الجوارح

الباطن هو عمل القلب وتصديق القلب

باطن الإنسان مع ظاهره مع جوارحه هناك علاقة طردية تبادلية بينهما

إذا صلح القلب فلا بد أن يصلح الظاهر

وكما قيل القلب هو الملك والجنود هم الجوارح

وقد أنكرت المرجئة المعاصرة التلازم بين الظاهر والباطن أو بين إيمان القلب وعمل الجوارح وقالت بعدم التلازم بينهما ، بل وادعت زورًا وبهتانًا وتدليسًا وتلبيسًا على الشباب أنه لا تلازم ، ويمكن أن يكون هناك إيمان في القلب ولا يظهر على الجوارح مع القدرة التامة والتمكن ولذلك يجوز - عندهم - أن يكون هناك قول قلب : وهو التصديق والقبول والانقياد الإذعاني ، وعمل قلب : من الخوف والرجاء والمحبة والتوكل والإنابة ، وغير ذلك من إيمان القلب وقوله وعمله ، ولا يظهر من ذلك شيء على الجوارح ، ويكون مسلمًا مؤمنًا بذلك ولا يدل تركه للعمل على فساد باطنه؟

وقد بين العلماء والسلف الكرام قاعدة التلازم بين الظاهر والباطن وردُّوا على المرجئة وقد توسع شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في الرد على المرجئة وبين فساد مذهبهم: " والمقصود بيانه أن ظاهر المرء - عند أهل السنة - هو الوجه الآخر لقلبه وباطنه، وأنه انعكاس مباشر له، لا يتخلف عنه ولا يغايره، وأنه من المحال والممتنع شرعًا وعقلاً أن يكون الباطن على حال بينما يكون الظاهر على حال آخر، ولكن إذا كان الباطن صالحًا كان الظاهر صالحًا بحسبه، وإن كان الباطن فاسدًا كان الظاهر كذلك فاسدًا بحسبه ...

وهذا لا يتخلف إلا في حالتين ذكرهما الله لنا في القرآن:

الأولى: حالة الإكراه، مع أنها حالة مؤقتة وغير مستمرة وتزول بزوال العارض، وترجع إلى ما كانت عليه من اطمئنان القلب بالإيمان وعمل الجوارح بمقتضى هذا الإيمان فكل من " أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ" سرعان ما يزول بزوال الإكراه.

والحالة الثانية: حالة المنافق كما قال تعالى في سورة الفتح: " يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ " فغير ذلك يتلازم الظاهر والباطن ولا يتخلف إلا في حالة الإكراه والمانع والنفاق.

الأدلة على التلازم بين الظاهر والباطن وفهم السلف لهذه الأدلة

١- يقول الله تعالى: " وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ"

٢- قوله سبحانه: " لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ" ونحوها.

٣- قول الله: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً "

٤- قول النبي: " ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب "

٥- قول النبي: " لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه "

فهم السلف لهذه الأدلة وبيان فساد مذهب المرجئة

"

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في معرض كلامه عن كفر تارك الصلاة وقتله كفراً وردة : " فهذا الموضع ينبغي تدبره ، فمن عرف ارتباط الظاهر بالباطن زالت عنه الشبهة في هذا الباب وعلم أن من قال من الفقهاء أنه إذا أقر بالوجوب وامتنع عن الفعل لا يُقتل أو يُقتل مع إسلامه ، فإنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية ، والتي دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامة لا يكون بها شيء من الفعل ، ولهذا كان الممتنعون من قتل هذا من الفقهاء بنوه على قولهم في مسألة الإيمان وأن الأعمال ليست من الإيمان ، وقد تقدم أن جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب ، وأن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع سواء جعل الظاهر من لوازم الإيمان أو جزءاً من الإيمان " .

وكذلك قوله – رحمه الله – في شرح العمدة: " فإن الإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول وعمل كما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف، وعلى ما هو مقرر في موضعه.

والقول: تصديق الرسول، والعمل تصديق القول، فإذا خلا العبد عن العمل بالكلية لم يكن مؤمنا ....فإن

حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط، فمن لم يفعل لله شيئا فما دان لله دينا، ومن لا دين له فهو كافر ".

فهل هناك كلام أوضح من ذلك في كفر تارك العمل بالكلية مع القدرة التامة: " فإذا خلا العبد عن العمل بالكلية لم يكن مؤمنا ....، فمن لم يفعل لله شيئا فما دان لله دينا، ومن لا دين له فهو كافر " هل تجد أوضح من هذا الكلام في كفر تارك العمل؟

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

في موضع أخر مبينًا كفر من ترك العمل بالكلية والتلازم بين الظاهر والباطن : " متى ثبت الإيمان في القلب والتصديق بما أخبر به الرسول وجب حصول مقتضى ذلك ضرورة ، فإنه ما أسر أحدٌ سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه ، فإذا ثبت التصديق في القلب لم يتخلف العمل بمقتضاه البتة ، فلا تستقر معرفة تامة ومحبة صحيحة ولا يكون لها أثر في الظاهر ، ولهذا ينفي الله الإيمان عمن انتفت عنه لوازمه ، فإن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم كقوله تعالى : " وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ " ، وقوله : " لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ " ، ونحوها فالظاهر والباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيًا إلى مع استقامة الباطن ، وإذا استقام الباطن فلابد أن يستقيم الظاهر ولهذا قال النبي : " ألا أن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" وقال عمر لمن رآه يعبث في صلاته " لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه " وفي الحديث : " لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه " ولهذا كان الظاهر لازمًا للباطن من وجه وملزومًا له من وجه " ا.ه

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ردًا على جهم وأتباعه من المرجئة المعاصرة في نفي التلازم بين الظاهر والباطن : " ولهذا ظن طوائف من الناس أن الإيمان إنما هو في القلب خاصة ، وما على الجوارح ليس داخلاً في مسماه ، ولكن هو من ثمراته ونتائجه الدالة عليه حتى آل الأمر بغلاتهم - كجهم وأتباعه - إلى أن قالوا: يمكن أن يصدق بقلبه ولا يظهر بلسانه إلا كلمة الكفر ، مع قدرته على إظهاره فيكون الذي في القلب إيمانًا نافعًا في الآخرة ، وقالوا حيث حكم الشارع بكفر أحد بعمل أو قول فلكونه دليلاً على انتفاء ما في القلب وقولهم متناقض ، فإنه إذا كان ذلك دليلاً مستلزمًا

لانتفاء ما في القلب امتنع أن يكون الإيمان ثابتًا في القلب مع الدليل المستلزم لنفيه ، وإن لم يكن دليلاً لم يجز

قول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ المتوفى سنة ٧٥١ هـ في بيان هذا الأصل وتوضيح قاعدة التلازم بين الظاهر والباطن:

" فالإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته، فلا ينفع ظاهر لا باطن له، وإن حقن به الدماء وعصم به المال والذرية، ولا يجزئ باطن لا ظاهر له، إلا إذا تعذر بعجز أو إكراه وخوف هلاك، فتخلف العمل ظاهرًا مع عدم المانع دليل على فساد الباطن وخلوه من الإيمان، ونقصه دليل نقصه، وقوته دليل قوته" ا.ه.

ويقول ـ رحمه الله:

" والله تعالى أمر عباده أن يقوموا بشرائع الإسلام على ظواهرهم وحقائق الإيمان على بواطنهم ولا تقبل واحدًا منهما إلا بصاحبه وقرينه فكل إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة فليس بنافع حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن ، وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت ما كانت ، فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف ولم

يتعبد بالأمر وظاهر الشرع لم ينجه ذلك من النار ، كما أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه من النار"   وكما ترى فكلام السلف متفق على هذه الحقيقة لا يختلف.

يقول ابن القيم كما قال شيخه- رحمهما الله - في كتابه الصلاة وحكم تاركها: " ومن أمحل المحال أن يقوم بقلب العبد إيمان جازم لا يتقاضاه فعل طاعة ولا ترك معصية ".

العبـــــــــد الغريـــــــــب غفرالله له